لابد من نور

للاستاذ كامل البوهى

كان يفكر دائما فى تثبيت عرشه ، وكان عرشه لا يقوم الا على الظلم والبغى ، ونشر الجهل ومحاربة الحرية ، ولعله من أجل ذلك لم يكن يكره شيئا كما يكره النور ، ولم يكن يزداد سلطانه الا عندما يعم الجهل ، ولم يكن يفرح لشىء كما يفرح لمنظر الدماء ، أو لرؤية مواكب العبيد .

وكان له أعـــوان وأتباع ، سادوا فى ظلام الجهل ، وصادوا فى كدر الماء . كما كانت له وسائل وشراك ، انتشرت حتى عمت البلاد وأفسـدت الحياة .

وقد كانت اثارة الفتن من أهم وسائله ، جعل يسلطها على القلوب كيلا تجتمع ، وعلى الشمل حتى لا يلتئم ، كما جعل يثير الحقد فى قلوب الافراد على الأفراد ، وفى نفوس الجماعات على الجماعات ، فعاش القـوم فى ظلام وحيرة ، وفى بغض وشحناء وفى قسوة يلقونها من نفوسهم ومن خارج نفوسهم حتى فسدت حياتهم ، وتفرقت قلوبهم ، وأظلمت أفكارهم ، وساء تصورهم للاشياء وانحرف ذكاؤهم الفطرى ، وحرموا حياة الحب ونعيم السلم ، وقرار الامن ، ومتعة الحياة !!

وليت الامر قد وقف بهم عند هذا الحد ، وكيف يقف الامر عند هـذا الحد ، وطريق الشر أمامهم فسيح ، والظلام حولهم يغطى كل شىء ، كما يغطى الجهل على عقولهم ، ويطمس الحقد والجشع والبغضاء على قلوبهم ؟! وقد تســلم زعامتهم رأس الشر ، ومنبع الدسائس والفتن ، كيف يقف الامر عند هذا الحد وقد نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، عبدوا كل شىء الا الله ، عبدوا الاحجار وغير الاحجار ، عبدوها وهم أكثر الناس معرفة بأنهـــا لا تضر ولا تنفع ، عبدوها لان الجالس على العرش يريد لهم أن يعبدوها ليصرفهم بها عن عبادة الله ، ولم تكن عقولهم لترتاح أبدا الى عبادة الحجر والبشر ، لو أن الجالس على العرش كان يخلى بينهم وبين عقولهم ، فقـد ذهب أحدهم ذات مرة ليقدم القربان لمعبوده الحجـــر ، وهو لا يحس بالطمأنينة الى هذه العبادة ، ولكنه قدم القربان لان القبيلة كلها تقدم لهذا الصنم القربان ، قدم قربانه وانصرف ، ولكن شيئا جعله يلتفت بعد قليل

فيرى ، ويا هول ما يرى ، يرى كلبا يعتدى على القربان ، والصنم مغلوب على أمره ، أصم ، أبكم ، أعمى ، فيقف الرجل مبهوتا مبهورا ليرى الكلب وقد فرغ من التهام القربان يرفع رجله ليبول على المعبود الصنم !!

يا للهول ، أذلك مبلغك من الحول والطول ؟!

أهذه قدرتك ومكانتك ؟! أهذا هو الاله الذى يرجون رحمته ويخشون عذابه ؟! لا بد من نور ، لا بد من نور . ولكن الجالس على العرش الاثيم ، والمتسلط على عقول القوم ونفوسهم وقلوبهم ، كان يبذل جهده كله ليحجب عنهم النور ، ويغريهم بعبادة الاحجار وغير الاحجار ، ويشعل الحروب بينهم وبين أنفسهم حتى هانت عليهم الحياة فأراقوا الدماء ، ودفع الفقر كثيرا منهم الى قتل أولاده ، يقتلهم لانه فقير ، أو لانه يخشى الفقر ، لا يمنعه عن ذلك عطف ، ولا يردعه قانون ، ولا يرده دين .

كل ذلك والجالس على العرش يزدهى طربا لانه دبر لهذا كله ورأى نتيجة تدبيره تتم على ما يحب ويرضى ، ولانه يعلم أن هذه المفاسد هى قوائم عرشه ، وأنه لا بد له من العمل على استبقائها حتى يستقر عرشه ، بل كان يعمل دائما على زيادة هذه المفاسد ، حتى كادت الامة أن تتحول الى أحطاب .. الى هشيم .. الى رماد !!

وثقل الظلام حتى أصبح الجو كتلا من الظلام الكثيف لا يستطيع البصر أن ينفذ منه الى شيء غير الظلام .

* * *

ومن العجيب أن الظلام كان منتشرا فيما حول هذه الامة أيضا ، حتى ضاقت نفوس الاحياء بالظلام ، وسئمت الحياة الثقيلة وضاقت عليهم الارض بما رحبت وأخذوا يلتمسون الخلاص :

لا بد من نور ، لا بد من نور !!

فقد تاه القطيع ، وضل السارى ، وانتشرت اللصوص .

لا بد من نور ، لا بد من نور !!

فقد تخبطت العقول فى أمواج من الجهل ، وطالت بالقوم حياتهم الثقيلة ، حتى أصبح الموت أمنية مريحة جميلة ، وما قيمة الحياة اذا كانت ظلاما فى ظلام ؟!

وما لذة العيش اذا حرم الانسان حتى نور الامل ؟!

وأى أمل لمن يعيشون أعداء لذوى أرحامهم ، أعداء لأخوتهم أعداء لابنائهم ، أعداء لانفسهم ؟!

أى أمل لقوم يسيرون فى الحياة وهم لا يعرفون الى أين ؟ أى أمل فى الظلام الذى لا ينتهى الا ليعقبه ظلام أشد كثافة وأكثر صفاقة ، وأثقل وقعا على الضمائر والنفوس ؟!

لا بد من نور ، لا بد من نور .

فقد طال عهد الظلام ، وطحنت البشرية مطامع الملوك والسادة ودفعهم ابليس الى أعماق الشر ، وهو جالس على عرشه الآثم ، يفكر دائما فى تثبيت أركانه ، وتدعيم قوائمه ، ويعمل على اثارة الحروب ، ووأد البنات ، وشرب الخمور ، ونشر المفاسد ، ويدعو لعبادة الاصنام .

ويحاول أفراد من جزيرة العرب أن يهربوا من الظلام ، ويلتمسوا نورا من خارج بلادهم ، فيتجه بعضهم الى بلاد الروم ، ويتجه بعضهم الى بلاد الفرس ، ولكن وقع المفاجأة كان على نفوسهم شديدا حينما وجدوا الظلام ينتشر فى بلاد الروم وينتشر فى بلاد الفرس ، وحينما وجدوا أن الروم والفرس قد أحسوا بضيق شديد من هذا الظلام ، وأن بعضهم يحاول الهجرة الى جزيرة العرب ، لعله يجد قبسا من النور يبدد به ظلام حياته ، فيصطدم بكتل من الظلام .

* * *

ولكن ، انظر .. ما هذا الذى ينبثق من بعيد ؟! انه النور يظهر فجأة ، ويظهر قويا ، فيمحق الظلم ، ويبدد الخوف ويمحو الظلام .

انه النور الالهى ، يجذب اليه القلوب كما يجذب البصائر والأبصار . انه النور القدسى ، يظهر فى حى من أحياء مكة فيبدد ظلام القلوب فى الشرق ، وينشر أضواءه القوية فى الغرب . انه النور يلمع فى الصحراء فينشر الضوء فى بقاع الأرض ، ويخرج الناس من ضلال الشك والحيرة والاضطراب ، الى هدى اليقين والأمن والاستقرار . نور يظهر فى مكة بمولد محمد بن عبد الله ، فيهتز عرش ابليس ، وتندك أركانه ، وتتحطم قوائمه ويخر صاحب العرش الآثم من هول المفاجأة وقوة النور مغشيا عليه ..

كامل البوهى

* * *